كشف الأقوال المبتذلة في سبق قلم البيضاوي إلى مذهب المعتزلة لأحمد بن علي النوبي (دراسة وتحقيق)

Revealing the vulgar statements in the fall pen of Baydawi to the doctrine of Mu'tazilaby Ahmad bin Ali Nubi(verification and study)

الباحث: محمد نور السكاف
كلية الشريعة–جامعة دمشق-سورية
البريد الالكتروني: Sakkafnour@gmail.com

ملخص البحث:

هذا بحثٌ يعرِض لتحقيق مخطوطٍ لأحمدَ بنِ عليٍّ النّوبي رحمه الله ،يضمُّ خمساً وعشرين مسألةً تبع فيها المفسّر البيضاويُّ رحمه الله المفسّر الزّمخشريَّ عفا الله عنه في اعتزاله.

وقد لخّصها النّوبيّ رحمه الله من شروح وحواشي تفسيري "أنوار التّنزيل" للبيضاويّ رحمه الله و"الكشّاف" للزَّمخشريّ عفا الله عنه.

قدّمتُ له دراسةً علميةً لمضمون المخطوط في مبحثين مناسبين، وتوصّل النّوبيّ إلى أنَّ المسائل التي تبع فيها البيضاويُّ الزَّمخشريَّ لم تكن مقصودةً، وإنّما هي سَقَطاتُ قلمٍ من عالمٍ أشعريّ مِن أبرز علماء المسلمين ؛بسبب توغّله في علوم الفلسفة وقلّة بضاعته في علمي الحديث والآثار.

الكلمات المفتاحية: أحمد بن علي النوبي - المعتزلة - البيضاوي

Abscrat

This research is presented to verify a manuscript of Ahmad al-Nubi included twenty-five issues, in which Baydawi has followed Zmakhshary in his doctrine.

Al-Nubi has extracted it from the explanations and annotations of interpretation of (Anwar al-Tanzeel) ofal-Baydawi and (al-Kashaf) of al-Zamakhshary.

I have writtenan introduction study to analyze of the content of the manuscript in two appropriate sections.

Al-Nubiattain that these issues, which followed Baydawi Zmakhshary, were not intended, but are the fall pen from great figure of Ashari school and outstanding scholar of the muslim community, and the reason behind of this phenomen awas his adhering to the philosophy and his modest formation in Hadith sciences

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّد الموفَّقين وخير المعصومين، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدّين، أما بعد ...

موضوع البحث وأهمّيته:

فقد تنوّع اشتغالُ العلماء بالتّفاسير، وقد حظي تفسير البيضاويّ المسمّى "بأنوار التّنزيل وأسرار التّأويل" بالنّصيب الأوفى والقدح المعلّى من هذا الاهتمام شرحاً وتَحشِيةً وتدريسياً، لذلك كان من الأهميّة بمكانٍ أن يخلوَ هذا التفسيرُ العمدةُ لدى العلماء عن المشكلات والأخطاء الّتي تتعلّق بأيّ جانبٍ من جوانبه، لاسيما العَقَدِية منها، ومِن هنا تأتي أهمّيّة هذه الرّسالة الصّغيرة في الحجم العظيمة في بابها،الّتي ألّفها أحمد النّوبي في تتبّع سقطات قلم البيضاويّ في تفسيره إلى عقيدة الزمخشريّ-صاحب الكشّاف-الاعتزالية.

المنهج المتّبع:

اتّبعت خلال البحث المنهجَ الوصفيَّ في وصفِ المخطوط وعرضه، والمنهج التّحليليّ لبعض المسائل التي عرضَها المصنّف بشكلٍ موجَزٍ وبطريقٍ أقربَ إلى الغموض، فقمت بعرضها وترتيبها ترتيباً مناسباً.

الدّراسات السّابقة للبحث:

لم أصل إلى أحدٍ قام بتحقيق المخطوط أو دراسته؛ ولعلّ ذلك سببُه أمران اثنان:

أُولاهما: أنَّ المخطوطَ تلخيصٌ لما في الكتب من سهوات البيضاويّ ومَشَيَاتِ قلمه فيما تبع فيه صاحب الكشّاف، والعادة اقتضت الاهتمامَ بالأصول أولاً ثم الملخّصات ثانياً.

ثانيهما: أنَّ مؤلّفَه من المؤلّفين الذين لم يشتهروا شُهرةَ غيرِهم ممن ذاع صيتُهم، وامتلأت الكتب بتراجمهم، وعدمُ وجود غير نسخةٍ لهذا المخطوط دليلُ عدم شهرته.

خطّة البحث:

قد استدعت طبيعةُ المخطوطِ أن يكون البحث في قسمين رئيسين: قسمٌ للدّراسة وآخرُ للنّص المحقّق، وتقع الدّراسة في مبحثين، وقد تناولتُ في القسم الأوّل: التّعريف بالمؤلِّف ومؤلَّفه، ففي المبحث الأوّل منه ذكرتُ لمحةً عن أحمدَا لنّوبي من المراجع التي استطعت الوصول إليها، وفي الثّاني عرّفت بالكتاب ونسبته لمؤلفه ومنهجه فيه، وفي القسم الثّاني قمتُ بتحقيق نصِّ المخطوط تحقيقاً علمياً.

تمهيدٌ:

إنَّ القرآنَ الكريم كلامُ الله تعالى، وكتابه المبين، ومعجزته الخالدة إلى يوم الدّين، اهتمَّ به العلماء، وأُولع به الصّالحون والأولياء، حتّى ما تركوا عِلْماً يمكن أن يتّصل به إلّا ودرسوه، وما من فنٍّ له به شعرةُ اتّصال إلّا وربطوه، فنجد العلماء عكفوا عليه دراسةً وتحقيقاً، ووقعت تلك التّفاسير بيد مَن بعدهم فزيّنوها بالشّروح وحلّوها بالحواشي، وما اكتفى مَن جاء بعدهم بجهد السّابقين حتّى أقاموا على ما سبق دراساتٍ وأبحاثٍ تسير سيرَ مَن سبقهم في خدمة كتبهم، ومن تلك الجهود هذا المؤلَّفُ الذي تتبّع فيه أحمدُ النوبيُّ مشياتِ القلم الإعتزاليّة للإمام البيضاويّ، ومن المعلوم تداخل العلوم الإسلامية فيما بينها، وخاصةً علم التّفسير الّذي يجعل من باقي العلوم خادمةً لفهم كلام الله؛ لذلك وضعتْ بعضُ كتب الفهارس هذا المؤلف ضمن التّفسير وبعضهم في قسم العقائد، وقد سبقه إلى الكتابة في الموضوع نفسه -أعني تتبّع سقطات الاعتزال- عددٌ من العلماء نذكر منهم:

- أحمد ابن المنيِّر السّكندري [المتوفّى: 683هـ]الذي تتبّع الزّمخشريَّ في مواضعَ الاعتزال في تفسيره وكتب كتابه "الانتصاف من الكشّاف".

- وذكر الزّركليُّ كتاباً لمحمّد بن يوسف شمس الدّين الشّامي [المتوفّى: 942هـ]باسم "الإتحاف بتمييز ما تبع فيه البيضاويّ صاحب الكشّاف"، وهي رسالةٌ مستخلصةٌ مما ذكره الجلال السّيوطيّفي حاشيته "نواهد الأبكار وشوارد الأفكار" في المواضع التي تبع فيها البيضاوي الزّمخشري في الكشّاف.

وقد توصّل الدّكتور نشأت صلاح الدّين حسين-عندما قام بتحقيق هذه الرّسالة ونشرها في بحثٍ محكمٍ في الجامعة المستنصريّة- إلى أنّ هذه الرّسالة جمع تلميذِ الإمام السّيوطيّ يوسف بن عبد الله الحسينيّ الأرميونيّ[المتوفّى: 958هـ]كما نُسبَ في الفهرس الشامل[1].

القسم الأول: قسم الدّراسة

المبحث الأول: التّعريف بالمؤلّف أحمدَ النوبيّ

لم تذكر كتب التّراجم والطّبقات -فيما وصلتُ إليه- أحمدَ النّوبيّ إلّا في القليل النّادر، وشحّت فهارس الكتب ومعاجم المؤلفين بذكر كتبه، حتّى أنّي لم أهتدِ إلى منتدى أو موقع إلكترونيّ مهتمٍّ بالرّجال تعرّض لذكره إجمالاً أو تفصيلاً، وسأذكر ما استطعت الوصول إليه ممّا يتّصل بحياته من خلال فهارس المخطوطات ومعاجم الكتب والمؤلّفين.

المطلب الأوّل: اسمُه ولقبه ونسبته.

اسمه: هو أحمدُ بنُ علي.

شهرته: شهابُ الدّين.

[1] الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط:520.

نسبته: النُّوبِي -بضمّ النُّون وسكون الواو بعدها باءٌ موحّدة- هذه النّسبة إلى بلاد النّوبة، وهم من قبائل السّودان الّذي يجاورون ديار مصر، وعامّةُ مَن ينسبُ إليها من الموالي[1].

المطلب الثاني: نشأتُه وتكوينه العلمي.

لم أقف على مصدرٍ ذَكرَ نشأته وتكوينه العلمي وشيوخه وتلاميذه، ولم أستطع من خلال تصفح بعض مخطوطاته العثورَ على لمحةٍ عن ذلك؛ إذ لم يتعرّض في تآليفه إلى ذكر تفاصيلَ عن حياته أو مذهبِه الفقهي، ولكن من الواضح من خلال الاطلاع على مضمون رسالته الّتي بين أيدينا أنّه أشعري المذهب.

المطلب الرابع: نِتاجه العلمي

من خلال مطالعة كتب الفهارس استطعت الوقوف على مؤلّفاتٍ عديدةٍ له، وكلّها مخطوطة لم أصل إلى مطبوعٍ منها، حصلتُ على بعضها المخطوط ولم أهتدِ إلى الباقي وهي:

1- "تنبيه الوَسنَان إلى أخبار مهديّ آخر الزّمان"، وهو ملخّصٌ صغيرٌ في 10 لوحاتٍ لكتاب علي المنفي[2] المسمّى بـ"البرهان في علامات مهدي آخر الزّمان"، وقد عثرتُ على نسخةٍ منه في مكتبة جامعة غوتا ببرلين تحت رقم 853[3]، بخطِّ مؤلّفه.

2- "ضوء اللآلي في شرح بدء الأمالي"، وهو مخطوط في مكتبة الحرمين بالرّياض برقم 33101، وعدد صفحاته 115.

3- "حاشيةٌ على شرح إيساغوجي"، يوجد منه نسخة في العالم في مكتبة قليج علي في اسطنبول في تركيا تحت رقم 658.

---

[1] انظر: ابن الأثير الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب:3/328-329.

[2] لم أقف على ترجمته.

[3] انظر: عمر كحالة، معجم المؤلفين:2/ 197، عن بروكلمان:2/385 و 520/2 ، من الأصل الألماني وذيله.

4- "طيّب النّشر واللّطائف في فضل الحبر والطّائف"،منه نسخة في العالم في مكتبة غوتا بألمانيا تحت رقم 1535.

5- "شدُّ الآذان عن ذكر الدّخان" بخطِّ مؤلّفه في غوتا أيضاً تحت رقم 3/2102، ومكتبة البلدية في الإسكندرية في مصر تحت رقم طب /41.

6- "نصيحةُ الفقراء للملوك والولاة والوزراء" في المكتبة الظّاهريّة في دمشق تحت رقم 1524 تصوف 317.

7- "إرشاد العادي عن إكثار الدّعاوي" في الوعظ يوجد في المكتبة المولوية في حلب ضمن مجموعٍ تحت رقم 265[1].

المطلب الثالث: وفاتُه.

جميعُ من ذَكرَ اسمه أو عرض لمؤلفاته من كتب الفهارس أو مواقع الشّابكة لم يحدّد سنة وفاته بدقّة، فغالب من ذكره أبهمه، أو يذهب المُفهرِس إلى خاتمة بعض مخطوطات النّوبيّ فيجد قد كتب في نهايتها: انتهى من كتابة آخر مخطوط له سنة 1039هـ، فيقول كان حيّاً سنة 1039هـ، فيأتي مَن بعدَهم وينقلها دون تمحيص، لذلك بعد البحث لم أقف على سنة وفاته على وجه الدقّة، والله تعالى أعلم وأحكم.

المبحث الثاني: التّعريف بمخطوط كشف الأقوال المبتذلة فيما سبق إليه قلم البيضاوي لمذهب المعتزلة

النّسخة المعتمدة في التّحقيق:

حقّقتُ المخطوط معتمداً على نسخةٍ محفوظةٍ في مكتبة غوتا في برلين برقم 532 وقد كُتبت في بداية القرن الحادي عشر بخط مؤلّفه.

[1] انظر: فهرست الخديوية: 33/2، ومعجم المؤلفين:24/2.

وممّا شجّعني على تحقيقها توفّر المخطوط وتوفّر بعض المخطوطات الّتي اعتمد عليها النوبي رحمه الله ، وخاصّةً أنَّ بعضها تمّ تحقيقَها.

المطلب الأول: وصف المخطوط:

هذه الرّسالة من النّاحية الفنّيّة كُتبت بخطٍّ جيّدٍ بيد المؤلِّف،وهي مؤلَّفةٌ من (35) صفحةً،تبدأ من الصّفحة رقم (7) إلى الصّفحة رقم (24) ويختلف عدد الأسطر في الصّفحة الواحدة بين(14) سطراً في بعضها و(21)سطراً في بعضها الآخر.

أمّا من النّاحية العلميّة؛ فقد حوى المخطوط على ستَّ عشْرةَ سورةً ذكر فيها البيضاويُّ أقوالاً تابع فيها الزّمخشريّ في اعتزالياته، وهي: البقرة وآل عمران والنّساء والأعراف والتّوبة ويونس ومريم والمؤمنون والحديد والتّحريم والمزّمّل والمدّثّر وعبس والتّكوير والشّرح والكافرون.

وعدد المواضع التي وقف عليها في كلِّ السّور بلغت أربعاً وعشرين موضعاً، ولكن لدى التّحقيق تبيّن أنّه قد فاته حساب موضعٍ ألمح له في ثنايا كلامه، فتصبح حينئذٍ على الحقيقة خمسةً وعشرين موضعاً.

المطلب الثّاني: موارد كتاب كشف الأقوال المبتذلة.

اعتمدأحمد النّوبيّ- فضلاً عن تفسيري البيضاوي والزّمخشري - على عددٍ من الكتب والحواشي، وهي:

- البحر المحيط في التّفسير لأبي حيّان الأندلسيّ [المتوفّى:745هـ][1].
- نواهد الأبكار وشوارد الأفكار لجلال الدّين السّيوطيّ [المتوفّى:911هـ] حاشية على تفسير البيضاوي[1].

[1]انظر:14 من البحث.

- الانتصاف من الكشّاف لابن المنيّر [المتوفّى:683هـ][2].
- فتوح الغيب عن قناع الرّيب للطّيبيّ [المتوفّى:743هـ] حاشية على تفسير الزّمخشريّ[3].
- حاشية السّعد التّفتازانيّ على البيضاويّ [المتوفّى:793هـ][4].
- الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة لأبي نصر الجوهريّ الفارابيّ [المتوفّى:393هـ][5].

ومن **الموارد الثّانوية** الّتي قليلاً ما يرجع إليها حاشية السّجاوندي[6] وحاشية السّعد التفتازاني[7] كلاهما على تفسير البيضاوي وحاشية الشّريف الجرجاني[8]على الكشّاف رحمهم الله جميعاً رحمةً واسعةً.

المطلب الثالث: طريقة عرض النّوبيّ كتابه ومنهجه.

هذا كتابُ لخّص النّوبيّ مواضعها ممّا سبق مِن حواشي تفسيري البيضاويّ والزمخشريّ، وزاد القليل عليها كما في سورة الشّرح والكافرون.

طريقته: بدأ المؤلِّف بمقدّمة بيّن فيها مكانة البيضاوي بين علماء التّفسير، وتنزيهَه عن قصدِ مشيةٍ من تلك المشيات أو هفوةٍ من تلك الهَفَوات، ثم عرض المؤلّف إلى ذكر اسم السّورة، وذكر عددَ المواضع الّتي تبع فيها البيضاويّ الكشّاف،وذلك بشكلٍ مطّردٍ إلى أن بلغ سورة التّوبة، ثمّ بعد ذلك أتى على ذكر

---

(1)انظر:11 من البحث.
(2)انظر:13 من البحث.
(3)انظر:13 من البحث.
(4)انظر:12 من البحث.
(5)انظر:16 من البحث.
(6)انظر:14 من البحث.
(7)انظر:15 من البحث.
(8)انظر:8 من البحث.

الموضع مباشرةً دون ذكر رقمٍ قبل ذلك، ولعلَّ سبب ذلك أنَّ ما تبقّى من السّور كلّها كانت حاويةً على موضعٍ واحدٍ إلّا يونسَ فقد تكرّر فيها موضعان، ثمّ يأتي على الآيات وفق ترتيبها في المصحف، ويذكرُ قولَ البيضاويّ في تفسيره مختصراً، ويذكر أقوالَ أصحاب الحواشي في الرّدِّ على البيضاويّ كالسّيوطيّ والطّيبيّ وابن المنيّر والسّعد التفتازاني، وقد يعرض لأبي حيان في بحره وبعضِ أئمّة اللّغة كالجوهريّ مثلاً، ويصرّح بالنّقل منهم، وهكذا يعرِض لكلِّ سورة من السّور الّتي وقف عليها أحمد النّوبيّ وظهر له اتباع البيضاويّ للزّمخشري في بعض المسائل فيها.

منهجه: أمّا منهجه فقد استقرأ النّوبيّ حواشي تفسيري البيضاويّ والزّمخشريّ، وجمع المواضع الّتي ذكر أصحابها بأنّ البيضاويّ تبع فيها الزّمخشريّ في عباراتٍ تخالف معتقدَه، ثمّ لخّصها وأوجز عرضَها، ذاكراً عبارة البيضاويّ دائماً، وعبارة الزّمخشريّ إن لَزِمَ.

تنبيه مهمٌّ: قد يُلاحظ في بعض الحواشي الّتي يَذكُر فيها أصحابُها بأنَّ البيضاويّ قد: تبع فيها الكشّاف، ليس بالضّرورة أن تكون في المسائل الاعتقادية، فقد يكون اتّباعه في غير المسائل العقديّة؛ كأن يتبعه في المسائل الصّرفية والنحْويّة والبلاغيّة، فليُعلم.

المطلب الرابع: أبرز ميّزات كتاب كشف الأقوال المبتذلة.

لهذا المختصر مزايا لا توجدفي غيره من المختصرات الّتي انتهجت منهجه في تتبّع اعتزاليات الزّمخشريّ وسقطاتِ الإمامِ البيضاويّ رحمه الله كالانتصاف والإتحاف السّابق ذكرُهما منها:

- حسن التّرتيب ووضوحها مع وضع ترقيم لعدد المشيات الّتي تبع بها البيضاويُّ الكشافَ، وهذه ميزةٌزائدةٌ على كتاب "الإتحاف"للأرميوني.

- شمول تتبّع المشيات لكثير من الكتب بالنّسبة لكتاب "الإتحاف" الّذي اقتصر على ما ذكره شيخُه الإمام السّيوطيّ رحمه الله .
- تأخّر حياة أحمد النّوبيّ عن سابقيه، فلا غَرْوَ أنَّه أفاد منهم وزاد عليهم جمعاً وتهذيباً وتنقيحاً.
- أنّه ملخّصٌ مختصرٌ قريب المتناول، حسنُ التّرتيب، بعيد عن الحشْوِ والاستطراد.

ومن خلال الاستقراء يمكن إجمال أبرز **مواضيع المسائل الاعتزاليّة** الّتي تبع فيها البيضاويّ الزّمخشريّ في تفسيره في النّقاط التّالية:

1- التّحسين والتّقبيح العقليين[1].

2- خلق أفعال العباد[2].

3- تقييد نطاق المعجزات[3].

ومن ثمّ **تتحدّد أسبابُ تلك السّقطات من البيضاوي في سببين جوهريين**، صرّح بها أصحاب الحواشي، وأثبتها النّوبيّ في رسالته الّتي بين أيدينا:

1- توغّله في علوم الفلسفة[4].

2- قلّة بضاعته في علم الحديث والآثار[5].

---

[1] انظر:14 من البحث.

ومعناها أنّ العقل هو الحكم في تحسين الأشياء وتقبيحها. للاستزادة انظر: القاضي عبد الجبار، الأصول الخمسة:65.

[2] انظر:19 من البحث.

وهي أنّ الله تعالى منزّه عن فعل الشّرّ في الكون، فالإنسان هو الذي يخلق أفعال نفسه الإرادية. للاستزادة انظر:الأصول الخمسة:77.

[3] وهذا سببه تقديم العقل على النقل. انظر:16 من البحث.

[4] انظر:10 و 11 و17 من البحث.

[5] انظر:10 و 11 و17 من البحث.

* * * *

القسم الثّاني: التّحقيق

/بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي خلق الإنسانَ، وجعل الغَفلةَ والذُّهولَ والسّهوَ من أوصافه، ورفع عن هذه الأمّةِ خطلَ الخطأِ والنِّسيان فضْلاً مِنه ومنّةً، من فائضِ بحر جوده وألطافه، وصلّى الله على سيّد العالم عددَ خلقِه وأضعافَ أضعافِه.

وبعدُ... فيقولُ العبدُ الذّليل المفتقرُ إلى عفو مولاهُ الجليل أحمدُ النُّوبيُّ غفر الله زلَلَه وستر ظلَّه:

إنّ التّفسيرَ المسمّى بـ(أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل) المنسوبَ إلى مولانا علّامةِ الدُّهور والأعوام، أستاذِ علماء الأنام، سيّدِ أهل السُّنة والجماعة الأعلام، المولى الأعظم الإمامَ القاضي البيضاويّ[1] - متّعه الله بالنّظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة - من التّفاسيرِ الّتي تُشَدُّ إلى فهم معانيها الرّحال، وتقف عن حَذوِها[2] ورِفعةِ شأوها فحولُ الرّجال، ومع كَثرة علوم مؤلِّفه ودِقّة فهمه، فقد سبقَ قلمُه وعزّ رقمُه[3]، وذهب به إلى موافقة الزّمخشريّ[4] في الاعتزال، وذلك معدودٌ في مواضعَ من تفسيره ومواطنَ من

---

[1] هو ناصر الدّين أبو سعيد - وقيل أبو الخير - عبد الله بن عمر بن محمد الشّيرازيّ البيضاويّ، قاضٍ ومفسرٌ وفقيهٌ شافعيٌّ، عالم بالعربية والمنطق والأصول، ولد في مدينة البيضاء قرب شيراز، وتوفي بتبريز سنة 685هـ، له: أنوار التنزيل، وأسرار التأويل في التفسير، وطوالع الأنوار في التوحيد، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، وغيرها. انظر:الداوودي، طبقات المفسرين:248/1، والزركلي، الأعلام:110/4.

[2] بفتح الحاء المهملة أي: إزائها، ومنه: جلستُ بحذائه، وحذا حذوه: فعل فعله، والمراد هنا: مجاراتها. انظر:الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:2311/4، والزَّبيدي، تاج العروس من جواهرالقاموس:412/37(حذو)،وابن منظور،لسان العرب:170/14.

[3] الرقم: الكتابة والختم، ومنه قوله تعالى:﴿ كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٞ﴾ [المطففين:٩]أي: مَكْتُوب. انظر: الرازي، مختار الصحاح:106، ولسان العرب:249/12(رقم).

[4] هو جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، مفسر معتزلي المذهب بارع في النحو واللغة والأدب، ولد بزمخشر- من ضواحي خوارزم - سنة 467هـ، وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة سنة 538هـ، من مؤلفاته: الكشاف في التفسير، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة، والمفصَّل في النحو، والمستقصي في أمثال العرب. انظر: السيوطي، طبقات المفسرين العشرين:120، والقفطي،إنباه الرواة على أنباه النحاة:265/3، وياقوت،إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب :2687/6.

تَحبِيرِه[1]،وحاشاه من خطورِ شيء بفكره يوافق المعتزلة[2] / فضلاً عن وضعه في تأليفه وتحريره، غيرَ أنَّ الإنسانَ محلُّ النِّسيان، وخيرُ النّاس مَن تُعدُّ غَلَطاتُه وتُضبَطُ فَرَطاتُه[3]، وقد اعتذر عنه الجلال السّيوطيُّ[4] بأنّ ما ذكرَه مِشْيَةُ قلمٍ[5]، وإلّا ففضلُه على أهل السُّنَّة والجماعة أشهرُ من نارٍ على علم، وقد أردتُ أن أجمع في هذه الرّسالة ما تبع فيه الزّمخشريَّ وجرى به القلمُ وسمّيتُها (كشف الأقوالِ المبتَذَلة في سَبْقِ قلمِ البيضاويِّ لمذهب المعتزلة) وعلى الله الكريم اعتمادي وإليه موئلي واستنادي.

سورة البقرة

تبع الزّمخشريَّ في هذه السّورة في ستّة مواضعَ:

الأوّل: في تفسير قوله تعالى: ﴿حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [البقرة: ١٩]حيثُ قال: " والموتُ: زوال الحياة ".[6]

---

[1]الحَبْرُ: هو المداد والأثر والنعمة والحسن والبهاء وغير ذلك، ويمكن أن تراد جميعها هنا ما بين حقيقة ومجاز. انظر: الصحاح:620/2، وتاج العروس:506/10(حبر).

[2]وهم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري ω بسبب الخلاف حول مرتكب الكبيرة، ومذهبهم قائم على أصول خمسة: التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظر: الإسفرايني، التبصير في الدين:63، والقاسمي، تاريخ الجهمية والمعتزلة:56.

[3]تقول العرب: فرط إليه مني كلام وقول: أي سبق، وفي الدعاء: (على ما فرط منّي): أي سبق وتقدم من سرف القول والفعل، وفي كلام الله:ژڤ ڤ ڤژ[الكهف: ٢٨]، أي كان أمرُه التفريطَ. انظر: تاج العروس:527/19، ولسان العرب:368/7(فرط).

[4]هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري الشافعي السيوطي، إمام في شتّى الفنون، حافظ ومؤرّخ وأديب، ولد في القاهرة وتوفي فيها سنة911هـ، له حوالي 600مصنف بين كبير وصغير منها: الدر المنثور في التفسير المأثور، وتفسير الجلالين مع المحلي، والإتقان في علوم القرآن، والمزهر في اللغة، وغيرها. انظر:الأعلام:301/3، ومعجم المؤلفين:128/5، وابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب:74/10، والعَيْدَرُوس، النور السافر في أعيان القرن العاشر:90.

[5]حيث قال في معرِض تفسير سورة الأعراف: قوله[أي البيضاوي]: "واقتضاه العقل": هذا ونحوه في الكتاب[أي أنوار التنزيل]: مشية قلم مما في الكشاف، فإن ذلك ليس مذهبنا. السيوطي، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار:207/2.

[6]البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل:52/1.

قال الطِّيبيّ[1]: "وهو على هذا الوجه ليس بعَرَضٍ[2] بل هو أمرٌ عدميٌّ"[3]، قوله: "وقيل: عرضٌ يضادّها إلخ[4]. قال الشّريف[5]: "فيكون أمراً وجودياً"[6].

وذهبت طائفةٌ من أهل الحديث[7] إلى أنَّ الموتَ جسمٌ[8]؛ لأنَّ الأحاديثَ والآثار مصرِّحةٌ بأنّه يؤتى بالموت / على صورة كبش فيُذبحُ بين الجنّة والنّار[9].

---

[1]الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي، من أهل توريز من عراق العجم، عالم بالمعقولات والمنقولات من حديث وتفسير، توفي سنة 743 هـ، من كتبه: التبيان في المعاني، والبيان، وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وشرح مشكاة المصابيح. انظر: الداوودي، الطبقات: 146/1، والأعلام:256/2.

[2]العَرَض بفتحتين: يقابل الجوهر وهو معنىً زائد على الذَّات محتاجٌ إلى محلّ يقوم به، وله أنواع وتقسيمات حسب مقسِمه. انظر: الشريف الجرجاني، التعريفات:125، والكفوي، الكليات معجم في لمصطلحات والفروق اللغوية:624، وعبدالنبي النكري،جامع العلوم في اصطلاحات الفنون:228/2.

[3]انظر: الطيبي،فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب:366/1.

[4]وتتمة قوله: "ورُدَّ بأنّ الخلق بمعنى التّقدير، والإعدام مُقدَّرة". أنوار التنزيل:52/1.

[5]علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، عالم بالعربية والفلسفة، ولد في تاكو سنة740هـ، وتوفي في شيراز سنة 816 هـ، له نحو خمسين مصنّفاً منها: التعريفات وشرح مواقف الإيجي وحاشية على الكشاف. انظر: الداوودي، الطبقات:432/1، والأعلام:7/5.

[6]حيث قال: "الموت: صفة وجودية خلقت ضدًا للحياة، وهو قول جمهور أهل السنة". انظر: الشريف الجرجاني، حاشية على الكشاف:393، والكليات:199.

[7]كالإمام المازري والقاضي عياض وابن القيم ومن تبعهم. انظر: المازري، المُعْلِم بفوائد مسلم:358/3، وابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح:438، والقاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم:381/8.

[8]والجسمية معنىً زائدٌ على الوجود، فالوجود نوعان: جسمي كوجود المخلوقات، وغير جسمي كوجود الله سبحانه وتعالى. انظر: الباجوري، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد:134- 137.

[9]والأحاديث في الصحيحين عند البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ [مريم: ٣٩]:93/6، ح4730، ومسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء:2188/4، ح2849، والمعنى أنّه يُؤتى بالكبش على الحقيقة، يقول ابن القيم في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: "الكبش والاضجاع والذبح، ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيلُ، كما أخطأ فيه بعض الناس فيه خطأ قبيحاً، فإن الله ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صوراً معايَنَة يُثاب بها ويعاقب، والله

وممّا يدلّ على أنّ الموت جسمٌ تفسيرُ ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٥١]بالموت[1].

وقد أُوّل القولُ الأوّل[2] بأنّهم لم يَقصِدوا حقيقةَ الموت في الواقع بل أثرَه القائم ببدن الحيوان عند مفارقة الرّوح له[3]، وحينئذٍ فاختلف محلُ النّزاع، والتّحقيق ما ذهبت إليه طائفةُ أهل الحديث[4].

وأما المعنى القائم بالبدن عند مفارقة الرّوح فإنّما هو أثرُه، فإمّا أن يكون تسميتُه بالموت من باب المجاز لا الحقيقة أو من باب الاشتراك وحينئذ فالأمر في النّزاع قريب[1].

تعالى ينشئ من الأجسام أعراضاً، ومن الأعراض أعراضاً، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين، ولا شيئاً من المحال، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إنَّ الذبح إنما هو لملك الموت، فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله تعالى ورسوله، والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلَّة الفهم لمراد الرسول من كلامه, فظن هذا القائل أنَّ لفظ الحديث دل على أن نفس العرض يذبح، وظنَّ غالِطٌ آخر: العرض يعدم ويزول، ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يتنبه الفريقان لهذا القول الذي قلناه، وأن الله ينشئ من الأعراض أجساماً يجعلها مادةً لها كما في الصحيح في البقرة وآل عمران يوم القيامة "غمامتان...الحديث، فهذه هي القراءة التي ينشئها الله غمامتين، وذكر من هذا ما وردت به الأحاديث التي تثبت فيها أن الأعمال تصير أجساماً وصوراً في القبر وفي الآخرة". انظر: حادي الأرواح:438.

[1]فهذا دليل على أنه جسم مخلوق موجود لا أنه أمر عدمي، والشاهد في الآية أنه جعل الموت كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما خلقاً. انظر أثره في جامع البيان في تأويل القرآن للطبري:464/17، والحاكم في المستدرك:428/2، ح3435 وصححه الذهبي على شرط مسلم.

[2]أي قول المعتزلة الذي نقله البيضاوي.

[3]ونقل القرطبي عن بعض الصوفية أنّ الذي يذبحه يحيى بن زكريا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم إشارة إلى دوام الحياة، واستشكله القاضي ابن العربي لكونه يخالف صريح العقل لأنّ الموت عرض والعرض لا ينقلب جسماً فأنكرت طائفة صحة هذا الحديث ودفعته، وتأوّلته طائفة كالقرطبي ω فقالوا: هذا تمثيل ولا ذبح هناك حقيقة، وقالت طائفة كابن القيم: "بل الذبح على حقيقته". انظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري:427/11، والعيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري:52/19، ومحمد الأمير الحسني، التحبير لإيضاح معاني التيسير:271/2، وموسى شاهين لاشين، فتح المنعم بشرح صحيح مسلم:459/2.

[4]وهذه عبارة السيوطي وترجيحه رحمه الله . انظر: نواهد الأبكار: 448/1.

تنبيه: تبع البيضاويُّ في هذه المسألةِ الكشّافَ[2] من حيث صدّر بقول المعتزلة وهو أنّ الموت عدمٌ محضٌ، وثنّى بالقول الذي هو مذهب أهل السّنة والجماعة بصيغة التّمريض، وما كفاه ذلك حتّى ذكر حجَّته ورواها. وقد قال المازريُّ في شرح مسلم: "الموت عند أهل السّنة عرضٌ من الأعراض، وعند المعتزلة عدمٌ محض"[3].

الثاني: في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤]حيث قال: "وقيل: حجارةُ الكبريت، وهو تخصيصٌ بغير دليل، وإبطالٌ للمقصود، إذ الغرضُ من ذلك تهويلُ شأنها"[4]. وقد تبع في هذه المسألةِ الكشّافَ[5]، وحكاها بصيغة التّمريض / مع أنّ تفسيرَ الحجارةِ هنا بحجارة الكبريت هو الثّابت المنقول، ولا يُعرف في الأحاديث الصّحيحة والتّفاسير المرفوعة الثّابتة غيرُه، قال ابن عباس رضي الله عنهما : "هي حجارة في النّار من كبريت أسود"[6].

الثالث: في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤] حيث قال: "ولعلّ ضرباً من الملائكة لا تُخالِف الشّياطينَ بالذّات، وإنّما تخالفُهم

---

[1] ويحسن هنا ذكر قول التوربشتي رحمه الله : "المراد منه أنه يمثل لهم على المثال الذي ذكره في غير هذه الرواية، يؤتى بكبش له عين الحديث; وذلك ليشاهدوه بأعينهم، فضلا أن يدركوه ببصائرهم، والمعاني إذا ارتفعت عن مدارك الأفهام واستعلت عن معارج النفوس لكبر شأنها صيغت لها قوالب من عالم الحس; حتى تُتصوّر في القلوب، وتستقر في النفوس، ثم إن المعاني في الدار الآخرة تنكشف للناظرين انكشاف الصور في هذه الدار الفانية، وأما إذا أحببنا أن نؤثر الإقدام في سبيل لا معلم بها لأحد من الأنام فاكتفينا بالمرور عن الإلمام". ملا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:3563/8.

[2] قال محمود الزمخشري: والموت فساد بنية الحيوان. وقيل: عرض لا يصح معه إحساس معاقب للحياة. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 206/1.

[3] المعلم بشرح مسلم: 3/ 358، وأراد المصنف هنا إنهاء المسألة بالاستشهاد بقول المازري لكلام أهل السنة.

[4] أنوار التنزيل:58/1.

[5] انظر: الكشاف: 225/1.

[6] ذكره الطبري في تفسيره:1/ 382. وروته كتب الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه، وهذه المسألة ترجعإلى تقديم العقل على النقل عند المعتزلة.

بالعوارض والصّفات كالفَسَقَةِ من الإنس والجنّ"[1]. وكان الأَولى بالقاضي البيضاويّ الإعراضُ بالكليّة عن هذا الكلام، والإعراضُ عنه صَفْحَاً، ولكنْ هذا إنّما هو ثمرةُ التّوغّلِ في علوم الفلاسفة وعدمِ التّضلّع بعلم الحديث والآثار، وذلك لأنّ الّذي دلّت عليه الآثار أنّ إبليسَ هو أبو الجنّ، كما أنّ آدم أبو الإنس، وأنّه لم يكن من الملائكة، وما في الآيات القرآنية يُوهم أنّه من الملائكة؛ حيث أُستثنيَ منهم فهو من باب التّغليب؛ لأنّه كان فيهم ومنقطعٌ معهم.

الرابع: قوُله عند تفسير الآية المذكورة[2] في حديث عائشة رضي الله عنها أنّه عليه الصّلاة والسّلام: "خُلقتِ الملائكةُ..."[3]، حيث قال: "لأنّه كالتّمثيل لما ذكرتُ"[4]. قال السّيوطيّ: "لو أمكنَ البيضاويُّ وأشباهُه أن يحملوا كلَّ حديثٍ على التّمثيل لفعلوا، /وهذاغيرُ لائقٍ بالمقام، وليتَ شِعري إذا حُمل ما ذكر في خلق الملائكة والجن على التّمثيل، فماذا يصنع القائل بذلك في بقيّة الحديث، أيَحمل ما ذكر في خلق آدم على التّمثيل، وأنّه ليس مخلوقاً من تراب، كما هو ظاهر الآية، وهذه إحالةٌ للنّصوص عن ظواهرها فلتُحذر هذه النّزعة الاعتزاليّة، فإنّ مدار المعتزلة عليها، وهم أوّلُ من أكثر منها، حتّى إنّهم أنكروا سؤال منكرٍ ونكير وعذابَ القبر والميزان والصّراطَ والحوضَ والشّفاعة ودابّةَ الأرض وحملوا جميع الأحاديث الواردة في ذلك على التّمثيل"[5].

---

[1] انظر: أنوار التنزيل:71/1. وتعود هذه المسألة إلى تقديم العقل على النقل عند أهل الاعتزال، ونص الزمخشري: "وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم". الكشاف:254/1. ولم أجد في تفسير هذه الآية دليلاً على أن البيضاوي اتبع الزمخشري في تفسير هذه الآية؛ لهذا لم نجد هنا عبارة:"تبع الكشاف".

[2] وهي الآية السابقة: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

[3] وتمام الحديث "خلقت الملائكة من النور، وخلق الجن مِن مَّارِجٍ من نار"ولعل المصنّف أراد أن يتمّه فترك له سطراً ونسي. أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب أحاديث متفرقة:2294/4، ح2996.

[4] انظر: أنوار التنزيل:71/1.

[5] انظر: نواهد الأبكار:200/2.

الخامس: في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾ [البقرة:٣٨] حيث قال: "وهو ما أتى به الرّسلُ واقتضاه العقل"[1]. فقوله: "واقتضاه العقل" ونحوه في الكتاب مِشيةُ قلمٍ ممّا في الكشّاف[2]، فإنّ ذلك ليس مذهباً لأحدٍ من أهل السّنّة.

السادس: في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ [البقرة:48]حيث قال: "وإيرادُه مُنَكَّراً مع تنكير النَّفْسَيْنِ للتّعميم والإقناط الكليّ"[3]. تبع في هذا الكشّافَ[4]، وهو مذهبُ المعتزلة فإنّهم ينكرون الشّفاعة للعصاة، ويحتجّون بهذه الآية، وأهلُ السّنة يقولون[5]: إنّها مخصوصةٌ بالكفّار للآيات والأحاديثِ الواردة في الشّفاعة، ويؤيّدُه أنّ الخطاب مع الكفّار، والآية / وَرَدَتْ للرّدّ على اليهود لأنّهم يزعمون أنّ آباءَهم يشفعون لهم.

سورة آل عمران

تبع البيضاويُّ الكشّاف في هذه السّورة في **ثلاثة**[6] مواضعَ:

الأول: في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران:٣٦] حيث قال: "ومعناه أنَّ الشّيطان يطمعُ"[7] إلخ. تبع الزّمخشريَّ[8] في تأويل

---

[1] أنوار التنزيل:74/1.

[2] ونص الزمخشري: "كان الإيمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكنهم من النظر والاستدلال". الكشاف:257/1. وهذا نصٌّ ظاهرٌ في تقديم العقل على النقل.

[3] أنوار التنزيل:78/1.

[4] ونص الزمخشري: "وهو الإقناط الكلى القطاع للمطامع". الكشاف:265/1.

[5] كالطبري وابن عطية والرازي وغيرهم من المفسرين حينما أتوا على تفسير هذه الآية.

[6] هذا ما ذكره المصنف وسنلاحظ أنه على أربعة مواضع دون أن يفصل في بعضها.

[7] وتتمته "في إغواء كلّ مولود يتأثّر منه إلّا مريم وابنها فإن الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة". أنوار التنزيل:14/2.

[8] وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلّا، ولو سلّط إبليس على النّاس ينخسهم لامتلأت الدّنيا صراخاً وعياطاً ممّا يبلونا به من نخسه. الكشاف:552/1.

الحديث[1] وإخراجِه عن ظاهره كما هو شأن المعتزلة فقد أنكروا الحديثَ، وقدحوا في صحّتِه، قال صاحب الانتصاف: "الحديث مدوّنٌ في الصِّحاح لا يبطله الميلُ إلى تُرّهَات الفلاسفة"[2]. قال السّعد التّفتازانيّ[3]: "طعن الزّمخشريُّ في صحّة الحديث بمجرّد أنّه لم لم يوافق هواه"[4]. قال السّيوطيّ: "والعجبُ من البيضاويِّ أشدُّ عجباً، فإنّه تبع الزّمخشريَّ في تأويله وقال: "معناه أنَّ الشّيطان يطمع في إغواء كلِّ مولود بحيث يتأثّر منه إلّا مريم وابنها فإنَّ اللهَ عصمهُما"، ووجه الأشدِّيّة أنّ الزّمخشريَّ ألحقَ بمريم وابنِها سائرَ المعصومين، وهو باطل قطعاً[5]، والصواب أن الحديث على ظاهره"[6].

الثاني: في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢] حيث قال: "كقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]"[7]. تبع فيه الزّمخشريَّ[8]. قال الطِّيبيُّ: "قال ذلك

---

[1] الذي ذكره عقب الآية وهو "ما من مولود يولد إلّا والشيطان يمسّه حين يولد، فيستهلّ من مسّه إلا مريم وابنها" أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [مريم:١٦]: 164/4، ح3431، وفي كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦]:6/ 34، ح4548، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام:1838/4، ح2366.

[2] انظر: صالح الغامدي، المسائل الإعتزالية في تفسير الكشاف في ضوء ما ورد في كتاب الانتصاف لابن المنير:288/1، ولم أجده في حاشية نسخة الكشاف التي اعتمدت عليها.

[3] هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد بتفتازان في خراسان سنة 712هـ، وتوفي بسمرقند سنة 793هـ، فتوفي فيها، من كتبه: حاشية على الكشاف، وتهذيب المنطق، وشرح العقائد النسفية، وشرح الأربعين النووية. انظر: الداوودي، الطبقات:319/2، والأعلام:219/7.

[4] السعد التفتازاني، حاشية على الكشاف(مخطوط):147/أ.

[5] وفي الكلام سقط لا بد من إرجاعه حتى تستقيم العبارة، وهي على التمام (لأن الضرورة داعية على هذا التأويل إلى ذلك، والبيضاوي اقتصر على استثنائهما فأدى كلامه إلى أن كل من سواهما يتأثر في إغوائه، ومنهم بقية المعصومين، وهو باطل قطعاً). انظر: نواهد الأبكار:523/2.

[6] انظر: نواهد الأبكار:523/2.

[7] أنوار التنزيل:31/2.

[8] حيث قال في الكشاف: "ونحوه (فاتقوا الله ما استطعتم) يريد: بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا". الكشاف:600/1.

ذلك بناء على مذهبِه أنّه لا يجوز التّكليف بما لا يطاق / ابتداءً، والذي ذكره الزّجّاجُ[1] وغيرُه: إن قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢] منسوخ بقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦] قال: ولهاتين الآيتين أسوةٌ بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] فإنّها منسوخةٌ بقوله: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]"[2]،فيكون تسميةُ حرمان بعض المستحقّين غلولاً تغليظاً ومبالغةً ثانية[3].

قال ابن المنيّر[4]: "هذا مخالف لعادة لطفِ الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم في التّأديب، ومزَجه باللّطف حيث قال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٣] بدأه بالعفو، فما كان له أن يعبّر بهذه العبارة"[5]. قال الطّيبيّ: "بعد حكايته جاء أغلظُ من ذلك بناءً على التّهييج والإلهاب نحو قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، وعلى التّعريض نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ [هود:١٠٩] ومن هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧] قال: كنّى عن مباشرة النّساء بالرّفث استهجاناً لما وُجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختياناً"[6]، قال السّيوطيّ: "ما قاله الطّيبيّ لا يلاقي ما قاله ابنُ المنيّر؛ فإنّ ابنَ المنيّر لم ينكر الخطاب الوارد من الله تعالى في هذا المعنى وإنّما أنكر قولَ الزّمخشريّ تغلظياً؛ فإنّ هذه اللّفظة لا تليق؛ ولهذا عبّر

---

[1] هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل البغدادي الزّجّاج، عالم بالنحو واللغة، ولد في بغداد سنة 241 هـ، ومات فيها سنة 311 هـ، من كتبه: معاني القرآن والاشتقاق والأمالي والمثلث وإعراب القرآن. انظر: الداوودي،الطبقات:9/1، والأدنه وي، طبقات المفسرين:52.

[2] فتوح الغيب:205/2.

[3] انظر: أنوار التنزيل:46/2. وقد انتقل المؤلف إلى آية أخرى دون توضيح فتداخلت المعاني، ولعله انتقل إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [آل عمران:١٦١].

[4] هو أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الإسكندراني، المعروف بابن المنير، أديب ومفسر مالكي المذهب، ولد سنة620هـ، وتوفي سنة 683هـ، وله تصانيف منها: البحر الكبير في نخب التفسير، وتفسير حديث الإسراء، والانتصاف من الكشاف. انظر: الداوودي، الطبقات:90/1، والأعلام:220/1.

[5] لم يقع في المطبوع تعليق ابن المنير على آية آل عمران في الانتصاف، وهذه العبارة إنّما كانت تعليقاً على آية ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [آل عمران:١٦١]. انظر: ابن المنير، الانتصاف:534/1.

[6] فتوح الغيب:327/4. واختيانا إشارة لقوله تعالى: ﴿تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾[البقرة:١٨٧].

الطيبيّ في الآية التي أوردها بالتّهييج والإلهاب، ولم يخشى[1] هو ولا غيره أن يُعبِّر بالتّغليظ، ولهذا قال السّعد التّفتازاني / هنا: "قد استقبحتُ من المصنف هذه العبارة؛ فإنَّ العادة قد جرت باللّطف مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم فالأَولى أنّه تعظيم لجنابه صلى الله عليه وسلم حيث عدّ أدنى زلةٍ غلولاً وهذا القول مع جلالة قائله لا يناسب فإنّه صلى الله عليه وسلم منزّهٌ عن الزّلّة"[2].

الثالث: في تفسير قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عمران:١٧٦] قال: "وفي ذكر الإرادة إشعارٌ بأنَّ كفرَهم بلغَ الغاية؛ حتّى أراد أرحمُ الرّاحمين أن لا يكون لهم حظٌّ من رحمته"(3). تبعَ فيه الكشّافَ حيث قال: "فإن قلت: هلّا قيل: لا يجعل لهم ﴿حَظًّا﴾ في الآخرة: أي نصيباً من الثّواب، ﴿وَلَهُمۡ﴾ بدلُ الثّواب ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ، وأيُّ فائدةٍ في ذكر الإرادة؟ قلتُ: فائدتُه الإشعارُ بأنَّ الدّاعي إلى حرمانه[4] وتعذيبِهم قد خلُصَ خُلُوصاً لم يبقَ معه صارف قطُّ حين سارعوا إلى الكفر؛ تنبيهاً على تماديهم في الطّغيانِ وبلوغِهم الغايةَ حتّى أنَّ أرحم الرّاحمين يريدُ أن لا يرحمَهم"[5]. قال الطّيبيّ: "السّؤال والجواب مبنيٌّ على مذهبه، والسّؤال من أصله غير متّجهٍ لأنّه عدولٌ عن الظّاهر، فإنَّ قولَه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا﴾[آل عمران:١٧٦] استئنافٌ لبيان الموجِب كأنّه قيل: لم يسارعون في الكفر مع أنَّ المضرّة عائدة إليهم؟ فأُجيب أنّه تعالى يريدُ ذلك منهم فكيف لا يسارعون"[6].

---

[1] هكذا في وردت في المخطوط، وفي مطبوع السيوطي: يجسر.

[2] انظر: نواهد الأبكار:84/3، والتفتازاني، حاشية على الكشاف:163/ب و164/أ.

[3] أنوار التنزيل:50/2.

[4] كذا في المخطوط، وهي في الكشاف: (حرمانهم).

[5] انظر: الكشاف:663/1.

[6] انظر: فتوح الغيب: 337/3، وقصد أنّ بيان الموجب لعدم جعل الله لهم الحظ في الآخرة هو مسارعتهم في الكفر، وصيغة المضارع في (يريد) للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها، ويرجع إلى دوام واستمرار منشأ هذا المراد وهو الكفر، ففيه إشارة إلى بقائهم على الكفر حتى يهلكوا فيه وَلَهُمْ مع هذا الحرمان من الثواب بالكلية عَذابٌ عَظِيمٌ لا يُقدر قدرُه، وبيان الموجب يرجع إلى حذف الجمل المفيدة كالسؤال المقدر الذي يسمّى الاستئناف الذي يكون بإعادة الأسماء أو الصفات، والثاني أبلغ؛ لانطوائه على بيان الموجِب. انظر: لابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر:77/2، والألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:133/4.

/سورة النّساء

تبع الزّمخشريَّ في موضع واحدٍ، وهو في تفسير قوله تعالى: ﴿أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [النساء:٢٤] حيث قال: "مفعول له، والمعنى أُحلّ لكم ما وراء ذلك إرادةَ أن تبتغوا"[1] إلخ. قال السّيوطيّ: "تبع فيه الزّمخشريَّ[2]، فقال أبو حيان[3]: "إنَّ فيه تحميلَ لفظِ القرآن ما لا يدلّ عليه، وتفسير الواضح الجليّ بالمعقّد، ودسَّ مذهب الاعتزال في غضون ذلك دسّاً خفيّاً، إذ جعل قوله: ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾على حذف مضافين أي إرادةَ كونِ ابتغائكم بأموالكم، وفسّر الأموال بعدُ بالمهور وما يُخرج في النّكاح، فتضمّن اختصاصَ إرادته بالحلال الّذي هو النّكاح دون السّفاح، وظاهرُ الآية غيرُ هذا الّذي فهمه الزّمخشريّ، إذ الظّاهر أنّه تعالى أحلّ لنا ابتغاءَ ما سوى المحرّمات السّابق ذكرها بأموالنا حالةَ الإحصان لا حالة السّفاح، وعلى هذا الظّاهر لا يجوز أن يُعرب ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾مفعولاً له كما قاله الزّمخشريُّ؛ لأنّه فات شرطٌ من شروط المفعول له وهو اتّحاد العامل في الفاعل والمفعول له؛ لأنَّ الفاعل / في قوله ﴿وَأُحِلَّ﴾هو الله تعالى، والفاعل في ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾ هو ضمير المخاطبين، فقد اختلف، ولمّا حسَّ الزّمخشريّ بهذا جعل ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾على حذف إرادةٍ حتّى يتّحد في قوله: ﴿وَأُحِلَّ﴾وفي المفعول له، ولم يجعل ﴿أَن تَبْتَغُوا﴾مفعولاً له إلّا على حذف مضاف وإقامتِه مُقامَه وهذا كلّه خروج عن الظّاهر بغير داعٍ إلى ذلك"[4].

---

[1] وتتمته: "بأموالكم بالصرف في مهورهن أو أثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين، ويجوز أن لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة أن يصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين أو بدل مما وراء ذلك بدل الاشتمال". أنوار التنزيل:68/2.

[2] وفي أصل الزمخشري: "أن تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم، إرادة أن يكون ابتغاؤكم". الكشاف:56/2.

[3] هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الجياني النِّفْزي الأندلسي، ولد في إحدى جهات غرناطة سنة 654هـ، وتوفي في القاهرة سنة 745هـ كفيفاً، من كتبه: البحر المحيط، والنهر، والتذييل والتكميل، وعقد اللآلي، والحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية. انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة:58/6-65، والأدنه وي، الطبقات:279، والأعلام:152/7.

[4] انظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير:588/3، ونواهد الأبكار:144/3.

سورة الأعراف

تبع الزّمخشريَّ في موضعٍ **واحد**، وهو في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيُبۡدِيَ لَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠] حيث قال: "وفيه دليلٌ على أنَّ كشف العورة في الخلوة وعند الزمخشري[1] من غير حاجةٍ قبيحٌ مستهجنٌ في الطّباع"[2]. وهذا مما تبع في الكشّاف[3]، قال ابن المنيّر: "إنّ فيه مَيلاً إلى الاعتزال وإنَّ الفعل يقبُحُ ويحسُن، قال: وهذا اللّفظ لو صَدَرَ من السُّنِّيِّ لكان تأويلُه أنّ العقلَ أدرك المعنى الّذي لأجله حسّنَ الشّرعُ السّترَ وقبّح الكشفَ"[4].

سورة التّوبة

تبع الزّمخشريّ في هذه السّورة في موضع **واحد** وهو في تفسير قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣] حيث قال: / "كنايةٌ عن خطاية في الإذن لهم، فإنَّ العفو من روادِفه"[5]. قال السّيوطيّ: "تبع في هذه العبارة السّيئة الزّمخشريَّ[6] مع أنّه العَلَمُ في استخراج المعاني"[7]، وقال صاحب الانتصاف: "وقد أخطأ الزّمخشريّ فيها خطأ فاحشاً، فاحشاً، وهو بين أمرين: أن لا يكون هذا المعنى مراداً فقد أخطأ، أو يكون مراداً ولكن كنّى الله عنه إجلالاً ورفعاً لقدره، أفلا يتأدب بآدابِ الله تعالى لا سيما في حقِّ المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟! وفي تقديم العفوِ إشعارٌ بتعظيم المخاطَب وتوقيرُه وتوقيرُ حرمتِه"[8]، وقال السّجاوندي[1]: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ تعليمٌ بعظمته صلوات الله وسلامه

---

[1] هكذا في المخطوط ولعله خطأ، وفي المطبوع "الزوج".

[2] أنوار التنزيل:8/3.

[3] ونص الزمخشري: "وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور وأنه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول". الكشاف:431/2.

[4] انظر: الانتصاف:465/1.

[5] أنوار التنزيل:82/3.

[6] وعبارة الزمخشري: "عفا الله عنك كناية عن الجناية، لأن العفو رادف لها، ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت، ولم أذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو، ومعناه: مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم، وهلّا استأنيت بالإذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه، وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه من الأسارى فعاتبه الله تعالى". الكشاف:48/3.

[7] انظر: نواهد الأبكار، نقلاً عن الطيبي:500/1، وقد سبقه فيها الطيبي. انظر: فتوح الغيب:255/7.

[8] انظر: الانتصاف:534/1.

عليهم، ولولا تصدّي العفو في المقال ما قام بصولة الخطاب، وقد يستعمل فيما لم يُسبق فيه ذنب كما تقول لمن تعظِّمه: (عفى الله عنك ما صنعت في أمري) و(رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي)، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "لقد عجبتُ من يوسفَ وكرمِه وصبره، والله يغفرُ له"[2]"[3]. وقال الشّيخ سعد الدّين: "ما كان ينبغي أن يعبّر بهذه العبارة الشّنيعة بعدما راعى اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم بتقديم العفو، وذكرِ الإذن المنبئُ عن علوّ الرّتبة وقوّة التّصرف، وإيرادُ الكلام في صورة الاستفهام / وإن كان القصدُ على الإنكار على أنَّ قولَهم: (عفا الله عنك) قد يُقال عند ترك الأولى والأفضل، بل في مقام التّعظيم والتّبجيل مثل: (عفى الله عنك ما صنعتَ في أمري)"[4].

سورة يونس

تبع الزّمخشريَّ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [يونس:٢]حيث قال: "من أفناء رجالهم دون عظيم في عظائمهم"[5]. وفي الصّحاح: "يُقال في أفناء النّاس إذْ لم يُعلم ممن هو"[6]. قال الشّيخ سعد الدّين: "إنَّ ممن لا شهرة له بجاه ومال ورياسةٍ ونحوِ ذلك مما يعدّونه

---

[1] أبو عبد الله محمد بن طيفور الغزنويّ السجاوندي، المفسر المقرئ النحويّ، قال القفطي: كان في وسط المائة السادسة للهجرة النبوية، وقال الأدنه وي: وتوفي سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، كذا في أسامي الكتب، له كتاب عين التفسير، وعلل القراءات. انظر: السيوطي، الطبقات:101، والأدنه وي، الطبقات:274، والقفطي، إنباه الرواة:44/3.

[2] وتتمته "حيث أرسل إليه ليستفتيَ في الرؤيا، ولو كنت أنا لم أفعل حتى أخرج، وعجبت لصبره وكرمه والله يغفر له أتي ليخرج فلم يخرج حتى أخبرهم بعذره، ولو كنت أنا لبادرت الباب، ولولا الكلمة لما لبث في السجن حيث يبتغي الفرج من عند غير الله قوله: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢]"أخرجه الطبراني في الكبير:249/11، ح11640، والديلمي في الفردوس:39/3، ح4092، وزاد صاحب كنز العمال نسبته لابن مردويه:514/11، والزيلعي لابن راهويه:167/2، وقال نور الدين الهيثمي:40/7: "فيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي وهو متروك"، وقال ابن طاهر المقدسي في أطراف الغرائب والأفراد:"تفرد به إبراهيم بن يزيد المكي عن عمرو عنه ولم يروه عنه غير عمرو بن محمد العنقزي":245/3 ح2551، وكلّهم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[3] انظر كلامه في فتوح الغيب:255/7.

[4] التفتازاني، حاشية على الكشاف:266/ب.

[5] أنوار التنزيل:104/3.

[6] الجوهري، الصحاح:2457/6.

في أسباب العزِّ والإجلال؛ وإلّا فهو عندهم بحسب شرف النّسب أظهر من الشّمس"[1].

وقال السّيوطيّ: "وهذه العبارة التي ذكرها البيضاويُّ تبع فيها الزّمخشريَّ[2]، ولو تحامى عنها لكان أولى، والّذي في تفسير قوله: ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ أي مشهورٍ بينهم، يعرفون نسبَه وجلالتَه وأمانته وعفَّتَه وصدقهَ، كما قال في آخر السّورة الّتي قبلها: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]فإنَّ هذا هو محلّ إنكار العجب؛ فيكون هذا وجهُ مناسبةِ وضعِ هذه السّورة بعد تلك، واعتلاقِ أوّل هذه بآخرِ تلك، ونظيره: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ﴾ [النحل:١١٣] ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩]، وما كان للزّمخشريّ أن يُحمّل لفظَ القرآن معنىً / لا دَلالة عليه بالوضع، وفيه حكايةُ غضٍّ من هذا المقام الرفيع زَعْماً أنّه يأخذ ذلك من أساليب البيان بطريق الالتزام، لا سيما وغيره من وجوه البيان أظهرُ وأنسبُ وأوفقُ لما خُتمتْ به السّورة المتقدّمة، والله ولي التوفيق"[3].

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] تبع الزّمخشريّ في تفسير هذه الآية حيث قال: "وقيل: الحسنى: الجنة، والزيادة: اللقاء"[4]. قال السّيوطيّ: "ما أنصف البيضاويُّ حيثُ جعل هذا القولَ آخرَ الأقوال وأضعفَها، ورجّح أنَّ الحسنى المثوبةَ، والزّيادةَ هو ما يزيدُ على المثوبة تفضلاً، ولم يحكِه بقيل، مع أنّ[5] الثّابت عن رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم في تفسير هذه الآية كما في الأحاديث، والآثارُ كثيرةٌ بهذا التّفسير، ولعلَّ البيضاويَّ سها عن كتابة هذا الموضع ومَشى عليه، وقولُ الزّمخشريُّ: "وزعمت المشبّهةُ[6] المشبّهةُ[6] والمُجْبِرَة[1] أنّ الزّيادة هي النّظر إلى وجه الله تعالى، وجاؤوا بحديث مَرْفُوعٌ"[2].

---

[1] التفتازاني، حاشية على الكشاف:273/أ.

[2] انظر العبارة ذاتها عند الكشاف:113/3.

[3] ومن هنا إلى آخر الرّسالة لن أتمكن من توثيق كلام السيوطي لأن حاشيته على البيضاوي التي بين يدي تنتهي في تحقيقها إلى رقم 48 من سورة التوبة.

[4] انظر: أنوار التنزيل:110/3.

[5] هكذا في المخطوط ولعلها "إنه".

[6] هي فرقة سميت بذلك لأن منهم من يشبّه ذات الباري بذات غيره، ومنهم من يشبه صفاته بصفات غيره. انظر: الإسفراييني، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم:214، والتهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:1545/2.

قال الطّيبيُّ: "هو عنده بالقاف أي مُفترى، وأمّا عند أهلِ السّنّة فهو مرفوع بالفاء"[3].

وقال في الانتصاف مُنكِراً عليه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس:٣٩]، والحديث مدوّنٌ في الصِّحاح، وقد جعل أنَّ أهلَ السّنّة جاؤوا به من عند أنفسِهم فحسبُه الله"[4].

سورة مريم

تبع الزّمخشريَّ[5] في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]حيث / قال: "فبينا هي في مغتسلها أتاها جبريلُ متمثّلٌ بصورة شابٍّ أمردٍ سويّ الخَلْقِ لتستأنسَ بكلامه وفعلِه لتهييج شهوتِها، فتنحدرَ نطفتُها إلى رحمِها"[6]. قال السّيوطيّ: "كان البيضاويّ في غُنية عن هذا الكلام، ولكنْ هذه ثمرةُ التّوغّلِ في الفلسفة".

سورة المؤمنون

تبع الزّمخشريَّ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون:٥١] حيث قال: "نداءٌ وخطاب لجميع الأنبياء لا على أنّهم خُوطِبوا بذلك دفعةً؛ لأنّهم أُرسلوا في أزمنة مختلفة، بل معنى أنَّ كلًّا منهم خُوطب في زمانه"[7]. قال السّيوطيّ: "تبع في ذلك صاحبَ الكشّاف[8]"، وقال صاحب الانتصاف وتبعه الطّيبيّ: "هذه نفحةٌ إعتزاليّةٌ، فمذهبُنا أنّ الله تعالى في الأزل متكلّمٌ آمرٌ ناهٍ، ولا يُشترط في الأمر وُجودُ المأمورين، بل الخطاب أزلاً

---

[1] هم أتباع فرقة الجبرية الذين ينفون للعبد التصرف، فهو مجبور على الفعل، وأنه لا فاعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، إنما تنسب للناس أفعالهم على المجاز كتحرك الشجرة، وقائل هذا هو جهم بن صفوان رئيس الجهمية. انظر: الفرق بين الفرق:211، وكشاف اصطلاحات العلوم:551/1.

[2] الكشاف:342/2.

[3] انظر: فتوح الغيب:468/7.

[4] الانتصاف:548/1. والرد على مسألة إنكار المعتزلة لرؤية الله تعالى مبسوط في المطولات، ليس مكانها هنا.

[5] انظر القصة كاملة التي سردها الزمخشري في الكشاف:11/4. وهذا من تضييق القول بالمعجزات وتمسكهم بمبدأ السببية وقانون العلية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

[6] انظر: أنوار التنزيل:7/4.

[7] أنوار التنزيل:89/4.

[8] انظر: الكشاف:234/4. وهذه الآية لها علاقة بأكثر المسائل الخلافية بين المعتزلة والأشاعرة، وهي خلق القرآن وقدم كلام الله تعالى.

على تقدير وجود المخاطبين، والمعتزلةُ أنكروا قِدمَ الكلام، فحملوا الآية على خلاف ظاهرها، وما ذكروه جارٍ في جميع الأوامر العامّة للأمّة"[1].

سورة الحديد

تبع الزّمخشريّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ [الحديد:٨]حيث قال: "أي وقدْ أخذَ الله ميثاقَكم بالإيمان قبلُ، وذلك بنصْبِ الأدّلةِ والتّمكّنِ من النّظر"[2]. / قال السّيوطيّ: "تبع الكشّاف"[3]، وقد قال ابن المنيّر: "وماذا عليه أن يَحملَ الأخذَ على حقيقته وهو المأخوذُ يومَ الذّرِ، فكلُّ ما أجازه العقلُ وورد به السّمعُ وجب الإيمان به"[4].

سورة التّحريم

تبع الزّمخشريَّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ [التحريم:١]حيث قال: "والله غفورٌ لك هذه الزّلّة، فإنّه لا يجوز تحريمُ ما أحلَّ الله"[5]. قال السّيوطيّ: "الله أكبر أستغفر الله من هذه الكلمة الشَّنْعاءَ، وما حكيتُها هنا إلّا لأردَّها وأحذّرَ النّاسَ منها، والبيضاويُّ تبع الزّمخشريَّ، وقد أطبقَ الأئمّةُ على التّشنيع عليه فيها". وقال صاحب الانتصاف: "افترى الزّمخشريُّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريم ما أحلَّ الله تعالى، فإنّه ليس لأحدٍ أن يعتقدَ حِلَّ ما حرَّم الله، وذلك لا يصدرُ من مؤمنٍ، وأمّا مجرّد الامتناع من الحلال فقد يكون مؤكّداً باليمين، وليس هذا من ذلك، وغايةُ الأمر أنّه حلف لا يَقربَ ماريَّةَ، فنزلت كفّارةُ اليمين، ومعاذَ الله وحاشا الله مما نسبه الزّمخشريُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"[6].

---

[1] الانتصاف:710/2.

[2] أنوار التنزيل:186/5.

[3] ونص الزمخشري: "ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج، وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان: حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الأدلة ومكنكم من النظر وأزاح عللكم فإذ لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول، فما لكم لا تؤمنون". الكشاف:44/6.

[4] انظر: الانتصاف:989/2.

[5] أنوار التنزيل:224/5.

[6] انظر: الانتصاف:1015/2.

سورة المزّمّل

تبع الزّمخشريَّ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل:١]حيث قال: "سُمِّيَ به النّبيَّ ﷺ تَهجِيناً[1] لما كان عليه"[2]. قال السّيوطيُّ: "تبع فيه الزّمخشريَّ[3]". وقال صاحب الانتصاف: / "هذا القولُ سوءُ أدبٍ، والعلماءُ من أهل السّنّةِ جعلوا نداءَه بالمزّمّل وغير ذلك من صفاته تشريفاً له، إذ لم ينادِه باسمه ﷺ"[4].

سورة المدّثّر

تبع الزّمخشريَّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المدثر:٣١] حيث قال: "وما جعلنا عددَهم إلّا العددَ الذي اقتضى فتنتَهم وهو التّسعةَ عشَر"[5]. قال السّيوطيّ: "تبع الزّمخشريَّ[6]". وقد قال أبو حيان: "إنّه تحريفٌ لكتاب الله، إذ زعم أنّ معنى ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: إلّا تسعةَ عشَر، وهذا لا يذهب إليه عاقلٌ ولا مَن له أدنى ذكاء "[7]. وقال صاحب الانتصاف: "ما ألجأَ الزّمخشريَّ إلى ذلك إلّا الاعتقادُ أنّ الله سبحانه وتعالى ما فتنَهم، وبئستْ هذه العقيدةُ"[8].

---

[1] التهجين: مجازاً التقبيح، وفيه هُجنة بالضم: أي قُبحاً. انظر: الصحاح:2217/6، وتاج العروس:278/36(هجن).

[2] أنوار التنزيل:255/5.

[3] ونص الكشاف: "فنُبّه ونُودي بما يهجن إليه الحالة التي كان عليها من التزمّل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم، كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن." الكشاف:237/6. ولكن ألحق الكشاف هذا القول بقول آخر أورده بصيغة التمريض فقال: "وقيل: كان متزملاً في مرط لعائشة يصلي، فهو على هذا ليس بتهجين، بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها، وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه". 239/6.

[4] انظر: الانتصاف:1051/2.

[5] أنوار التنزيل:262/5.

[6] انظر: الكشاف:259/6.

[7] انظر: البحر المحيط:334/10.

[8] انظر: الانتصاف:1056/2.

سورة عبس

تبع الزّمخشريَّ في تفسير قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ [عبس:١-٢] حيث قال: "وذكر الأعمى لزيادة الإنكارَ، كأنّه قال: لكونه أعمى"[1]. قال السّيوطيُّ: "تبع في ذلك الزّمخشريّ"، وقد قال ابن المنيّر: "غلط في كلامه، وما كان ينبغي له ذلك"، وقد تبع الزّمخشريَّ أيضاً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ [عبس:٢٦] حيث قال: "وأَسْنَدَ الشَّقَّ إلى نفسه إسناد الفعل إلى السّبب"، قال السّيوطيّ: "تبع في ذلك الزّمخشريّ[2]"، وقال ابن المنيّر: "ما رأيتُ كاليوم عبداً ينازعُ ربه عزّ وجلّ في قوله: ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ [عبس:٢٦]فيجعل هذه الإضافةَ إلى الله عزّ وجلّ مجازاً، ويجعل إضافة شَقِّ الأرض إلى الحارث حقيقةً"[3].

سورة التّكوير

تبع الزّمخشريّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ [التكوير:٢٢]حيث قال: "واُستدلَّ بذلك على فضل جبريلَ على محمّدٍ عليهما الصّلاة والسّلام، حيث عدَّ فضائلَ جبريلَ، واقتصر على نفيِ الجنونِ عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم"[4]. قال صاحب الانتصاف: "ما يرضى له جبريلُ هذا التّفسيرَ المقتضِيَ لتنقيصِ البشيرِ النّذيرِ وتفضيله عليه"[5].

سورة ألم نشرح

تبع الزّمخشريَّ[6] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾ [الشرح:٢-٣] حيثُ قال: "وهو ما ثَقُلَ عليه من فرطاتِه قبل البعثةِ"[1]. وهذه مقالةٌ اعتزاليّةٌ؛ لأنّه صلى الله عليه وسلم معصومٌ قبل البعثة كما بعدها.

---

[1] انظر: أنوار التنزيل:286/5.

[2] ونص الزمخشري: "ألأن جاءه الأعمى فعل ذلك، إنكاراً عليه". الكشاف:314/6.

[3] انظر: الانتصاف:1077/2.

[4] أنوار التنزيل:290/5.

[5] ويحسن إكمال ما قاله ابن المنير: "وهو مبني على مذهب المعتزلة من تفضيل الملك على البشر، ومذهب أهل السنة: تفضيل رؤساء البشر[أي الأنبياء]، وإنما ذكر جبريل بتلك الصفات واقتصر على نفى الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن جبريل مجهول لهم، بخلاف محمد ﷺ فاقه صاحبهم، ولذا اقتصر على نفى ما بهتوه به". الانتصاف:1079/2.

[6] انظر: الكشاف:396/6. وهو مبني على مذهب المعتزلة القائلين بعدم عصمة الأنبياء قبل البعثة.

سورة الكافرون

تبع الزّمخشريَّ[2] في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ [الكافرون:٣]حيث قال: "وإنّما لم يقل ما عبدتُ ليطابق ما عبدْتُم؛ لأنّهم كانوا موسومين[3] قبل المبعث بعبادة الأصنام، وهو لم يكن حينئذٍ موسوماً بعبادة الله تعالى"[4]. قال صاحب الانتصاف: "إنّه خطأٌ مبنيٌّ على أصله الفاسد، والحقّ أنّه صلى الله عليه وسلم كان متعبِّداً قبل الوحي لما ورد أنّه كان يَتَحنَّثُ[5] في غار حراء"[6]، وقال / أبو حيان: "هذا سوءُ أدبٍ على منصِب النّبوة؛ لأنّه صلى الله عليه وسلم لم يزل يوحّد الله تعالى مُجتنِباً لأصنامهم، يحجُّ بيتَ الله تعالى ويقفُ بالمشاعر ويؤدي النّسكَ، وما ذهب إليه الزّمخشريُّ مذهبٌ مرجوحٌ ساقطُ الاعتبار لما ورد من الأحاديث الصّحيحة والآثار الصّريحة أنّه صلى الله عليه وسلم كان يتحنّث، كان يتعبّد، كان يصوم، كان يطوف، كان يقف بعرفة، إلى غير ذلك، ولم يقل بخلافٍ إلّا من شذّ من النّاس الّذين لا يُعتبر قولُهم ولا يُلتفتُ إلى كلامهم"[7].

وهذا آخر ما جرى به القلمُ وانتهى به الرقْمُ ممّا سهى البيضاويُّ، وارتكبه تبعاً للزّمخشريِّ

وهو مِشْيةُ قلمٍ كان البيضاويُّ رحمه الله في الطّبقة العُليا والمرتبة الكبرى في الاعتقاد، والموافق لأهل السّنّة والجماعة بل هو القائم على قدم صحّة الاعتقاد، والمتباعد عن قواعد أصول الفساد، وكان الفراغُ على يد

---

[1] أنوار التنزيل:321/5.

[2] انظر: الكشاف:448/6.

[3] أصل الوسم: الأثر والمَعْلَم، ويُفَسَّرُ حسب ما يضاف إليه، وهنا: بمعنى متّصفين ومنعوتين. انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة:110/6، وتاج العروس:50/24(وسم).

[4] أنوار التنزيل:343/5.

[5] أي يتّعبّد، مثل تحنّف، وعند ابن سيده على السلب، وهو نفي الحنث أي الإثم عن نفسه، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ [الإسراء:٧٩] أي انْفِ الهُجود عن عينك، ونظيره تأثم، وتحوب، أي نفى الإثم والحوب وغيره، وذهب ابن الأعرابي إلى قريب من ذلك؛ لأنَّ للعرب أفعال تخالف معانيها ألفاظها. انظر: معجم مقاييس اللغة:108/2، وتاج العروس:224/5(حنث).

[6] انظر: الانتصاف:1115/2، والحديث مشهور عند مسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ 139/1: ح(160).

[7] انظر: البحر المحيط:560/10.

مُلخّصِه أحمد النّوبي بالطّائف في سادسَ عشر
شوال 1027[هـ] نفع الله تعالى
به المسلمين آمين.

الخاتمة

وصل الباحث من خلال قسمَي الدّراسيّ والتّحقيقيّ إلى أنّه يجب الاعتناء بهذه النّاحية من تفسير البيضاويّ رحمه الله ، الّتي بحثها العلماء في طيّات كتبهم مجملةً في حواشيهم وشروحاتهم على تفسيري البيضاويّ والزمخشريّ دون إفرادها بالبحث.

وكما نوّه البحثُ أنَّ هناك من الأمور الّتي تبعها البيضاويّ في غير أمور الاعتزال كاللّغة والنّحو والصّرف والبلاغة وغير ذلك، فجدير بالباحثين عموماً وأهل الاختصاص بحواشي البيضاويّ والكشّاف خصوصاً أن يَنْبَرُوا إلى جمع هذه المادّة العلميّة، ودراستها بطريقة علميّةٍ تُحاكي صاحب هذا المخطوط في التّرتيب والتّصنيف، لا سيما وأنَّ تفسير البيضاويّ غدا في يد العامّة والخاصّة، واشتهر شهرةً لم يشتهر بها غيره، فخدمتُه خدمةٌ لكتاب الله تعالى، ولدين المسلمين الذين أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نكونَ أمناء على دينه من دخول ما ليس فيه، أو تولّد ما ليس منه، والله وليُّ الأمر ومسبل السّتر، ومجزي عباده الأجر، والحمد لله ربّ العالمين.

* * * *